عبد القادر الفاسيّ الفهريّ واللّسانيّات التّوليديّة "تأثر وتأثير"

Abd al-Qadir Al-Fassi al-Fihri and Generative linguistics "Affect and influence "

د. نسيمة شـمام♥

تاريخ الاستلام: 13-05-2022 تاريخ القبــول: 05-06-2023

ملخّص: تعدّدت اتجاهات البحث اللّسانيّ المعاصر وتنوّعت مدارسه فظهرت الكثير من النّظريات اللّسانيّة التي ترمي إلى تفسير وتحليل الظّاهرة اللّغويّة؛ إلاّ أنّ النّظريّة التّوليديّة لتشو مسكي تعدّ الأهم والأكثر انتشارا. ويعدّ عبد القادر الفاسيّ الفهريّ رائد هذه النّظريّة في العالم العربيّ.

ويأتي هذا المقال ليضيء على جهد الفهري في مجال اللّسانيّات التّوليديّة ويبرز تميّزه في كثير من المسائل التي نقد فيها النّظريّة التّوليديّة، كما يعرض المقال الإضافات التي قدّمها الرّجل للتّوليديّة العالميّة والعربيّة على حد سواء.

كلمات مفتاحيّة: اللّسانيّات التّوليديّة؛ اللّسانيّات العربيّة؛ الفاسيّ الفهريّ.

Abstract :There are many trends in contemporary linguistic research and its schools have diversified.

Many linguistic theories have emerged that aim to explain and analyze the linguistic phenomenon, but Cho Mikki's generative theory is the most important and widespread.

Abd al-Qadir al-Fassi al-Fihri is considered the most important linguist of this theory in the Arab world.

♥جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر، البريد الإلكتروني:alinada546@gmail.com،(المؤلّف المرسل).

This article, entitled "Western Generative Linguistics is the starting point of Fassi Fihri's scientific creation, illustrating the efforts of the Moroccan scientist Abdelkader Fassi Fihri in the field of transformational obstetric linguistics and its distinction in many questions that have criticized obstetric theory and its additions to Global and Arabic Generative Linguistics.

Keywords: Generation; Arabic linguistics; Fassi Fihri.

مقدّمة: تعدّ النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة لنعوم تشومسكي، واحدة من أهم النّظريات اللّسانيّة في عصرنا، إذ تلقفها الباحثون في مختلف أصقاع الأرض وعكفوا على دراستها وتدريسها، ولم يَحِدْ الباحثون العرب عن هذا المسلك فقد كان للنّظريّة –منذ مطلع السّبعينيّات–نصيبٌ كبير في كثير من الأعمال مشرِقًا ومغرِبًا نذكر منهم؛ ميشال زكريا ومحمّد علي الخولي (لبنان)، مازن الوعر (سوريّة)، داود عبده (الأردن)، مرتضى جواد باقر(العراق)، حسام البهنساوي (مصر). أمّا في المغرب العربيّ فنجد: عبد القادر الفاسيّ الفهريّ، مصطفى غلفان (المغرب).

ثم إنّ المتمعّن في هذه الدّراسات يجدها على ثلاثة أنواع:

✓ النّوع الأوّل: تبسيط لمفاهيم النّظريّة التّوليديّة، على غرار ما قدّمه ميشال زكريا في بعض مؤلّفاته؛

✓ النّوع الثّاني: تطبيق لنماذج النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة على قواعد ومفاهيم اللّغة العربيّة، وغالبا ما ارتبط ذلك بتعليم اللّغة العربيّة لغير النّاطقين بها؛

✓ النّوع الثّالث: إبداع في الكتابة اللّسانيّة التّوليديّة العربيّة أسهم في إغناء النّماذج التّوليديّة الغربيّة واللّسانيّات العربيّة على حد سواء.

في هذا المقال الموسوم بـ "**عبد القادر الفاسي الفهري واللّسانيّات التّوليديّة "تأثر وتأثير**". "سأخصّ النّوع الثّالث بالدّراسة، حيث إنّني سأسلّط الضّوء على ما قدّمه هذا العَلَم من أفكار تمسّ النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة من جهة واللّسانيّات

العربيّة من جهة أخرى، مجيبة على الإشكال الآتي: كيف تأثر عبد القادر الفاسي الفهري بالنّظريّة التّوليديّة التّحويليّة وأثّر فيها؟

وللإجابة على هذا الإشكال أقف عند المحطات الآتيّة:

1. المقصود باللّسانيّات التّوليديّة وأهم أعلامها في المغرب العربيّ.

2. جهود عبد القادر الفاسي الفهري في اللّسانيّات التّوليديّة (نقده لنظريّة تشومسكي وإضافاته): "الرّتبة، التّوسيط وازدواجيّة الرّتبة، التّنميط المتعدّد، البناء لغير الفاعل".

3. ملاحظات عن الكتابات اللّسانيّة التّوليديّة المغربيّة عامّة والفهري خاصّة.

1-مفهوم اللّسانيّات التّوليديّة: نشطت الدّراسات اللّسانيّة في أوربا وأمريكا خلال القرنين 19 و20م. وكان أهم ما ظهر حينها القواعد التّوليديّة التّحويليّة(Transformational Génerative Grammar) لتشومسكي (Chomsky)، إذ أصدر كتابا عام 1957م عنوانه" البنى التّركيبيّة (Syntactic Structures)، فيه " مرورًا من مفهوم العِلم المبني أساسا على الملاحظة. وتصنيف الوقائع إلى مفهوم يعطي الأولويّة للنماذج (أمثلة) النّظريّة التي بواسطتها تفسّر الوقائع" (جان،2001) [1].

أي من منطلق أنّ اللّسانيّات هي الدّراسة العلميّة للغة فإنّه يجب دراسة النّماذج اللّغويّة في كل لغة لأنّها هي التي تسمح بإبراز خصّيصة هذه اللّغة دون غيرها. وفيه انتقال من البنويّة التي تنطلق من الملاحظة في وصف الظّواهر اللّغويّة إلى علم جديد يفسّر الواقع اللّغويّة هو اللّسانيّات التّوليديّة.

ومن هنا فإنّ الكِتاب قد أثر "في اللّسانيّات البنويّة في السّتينيات، إذ صاغ النّظريّة اللّغويّة البنويّة والتّقليديّة بطريقة جديدة يخال القارئ أمامها أنّه بصدد قراءة مؤلّف في الرّياضيات" (كارل، 2003) [2].

فالتّوليديّة نظريّة أعادت صياغة البنويّة بشكل علمي جديد يعتمد الرّموز الرّياضيّة في الدّلالة على أجزاء الجملة التي يحللها في شكل مشجر أو الأجزاء

المكونة لجملة ما نحو: (ج =ف+ س)، كما قام تشومسكي في هذا الكتاب "بانتقاد النّموذج التّوزيعي والنّموذج البنوي في مقوماتهما بسبب أنّهما لا يفسّران عددا كبيرا من الظّواهر اللّسانيّة".(بناني، 2001)[3] .

حيث إنّ تشومسكي قدم العلّة من نقده للسانيات التّوزيعيّة والبنيويّة المتمثل في اهتمامها المغرق بالبنيّة الشّكليّة للغة ممّا يبعدها –حسب رأيه–عن العلة الحقيقيّة لدراسة اللّغة وهو التّفسير.

فالمهم عنده ليس الشّكل الذي تبدو عليه اللّغة بل لماذا أتى التّركيب على هذا النّحو؟

وهذا يجيب عنه التّفسير فقط، إضافة إلى أنّه "أشار إلى بعض ملامح النّظريّة الجديدة التي أتى بها وتخطى فيها اللّسانيّات البلومفلديّة، لكنّه لم يشر إلى المنهج الذي وضعه على المستوى الدّلالي" (الوعر، 1987) [4].

وبهذا يعدّ كتاب **البنى التّركيبيّة** بدايّة تأسيس لنظريّة لغويّة جديدة، إذ قام **تشومسكي** أوّلا في كتابه بنقد النّظريات اللّسانيّة السّابقة كالسّلوكيّة والبنويّة والتّوزيعيّة، لكونها تهمل التّفسير. لكنّه لم يوضح المنهج الذي اتبعه في دراسة الظّاهرة اللّغويّة من حيث الدّلالة.

في حين أنّه "انتقد النّحو التّقليدي في شكله العام وتعريفاته وقواعده مع أنّه أكد أنّ النّحو التّقليدي يعطى تصوّرًا أكثر عمقا وملائمة عن طبيعة اللّغة" (مومن 2002).[5]

وعلى الرّغم من ذلك فنظريته التّوليديّة استفادت من النّتائج التي توصل إليها النّحو التّقليدي، فهو يرى أنّه يصف اللّغة بعمق مناسب لطبيعة اللّغة في ذاتها.

فالقواعد التّوليديّة "لم تدحض الدّراسة التّقليديّة كاملة بل إنّها أقرّت بصحّة وسلامة بعض قوانينها ورأت بأنّ على النّحو إن كان كفؤا أن يزوّدنا بقاعدة تفسّر لنا كيف تستعمل الجمل وكيف تفهم؟" (إفتيش، 2000).[6]

ولهذا السّبب نقد تشومسكي الدّراسات السّابقة لنظريته كالسّلوكيّة والبنويّة والتّوزيعيّة لاعتمادها الشّكل دون المضمون، إذ يرى بأنّ المهم هو تفسير الجمل وليس وصفها لأنّ ذلك يمكننا من إنتاج جمل جديدة، على الرّغم من أنّ "النّظريّة اللّغويّة الجديدة ما هي إلاّ واحدة من النّظريات اللّغويّة التي طورت في أمريكا من النّظريّة البنويّة وبعض النّظريات المنطقيّة".(بوقرة، 2006)[7].

فالقواعد التّوليديّة لم تنشأ من فراغ أو من رفض جميع النّظريات اللّغويّة السّابقة، لكنّها انتقت ما رأته صوابا منها وما رأته غير ذلك قدّمت العلّة من رفضه. ولم تكتف بالأخذ من النّظريات اللّغويّة وحسب بل تعدتها إلى النّظريات المنطقيّة لتصبح النّظريّة ليست لغويّة فقط؛ بل تجاوزت اللّغة إلى مواضيع أخرى كالأدب والنّقد وعلم النّفس. (بوقرة، 2006)[8].

إذن فالفكرة التي ركز عليها النّحو التّوليدي هي تفسير البنيّة اللّغويّة وتحليلها لأنّ الغايّة من دراسة النّحو "فهم تحليل بناء الجملة تحليلا لغويا يكشف عن أجزائها ويوضّح عناصر تركيبها وترابط هذه العناصر بعضها ببعض بحيث تؤدي معنى مفيدا ويبين علائق هذا البناء ووسائل الرّبط"(حماسة، 2003) [9].

فالهدف من دراسة البنيّة ليس وصفها وإنّما "تحليلها وتفسيرها لفهم كيفيّة صياغتها إضافة إلى أنّ التّحليل الدّلالي يفيد في إزالة غموض المصطلح المعجمي الخاص بمؤلّف ما". (إينو، 1980) [10].

وذلك لأنّ القواعد التّوليديّة التّحويليّة تسعى إلى عدم قصر غايّة البحث اللّسانيّ على وصف الظّواهر اللّغويّة بل أن تكون النّظريّة اللّغويّة قادرة على تقديم التّفسيرات العلميّة لجميع الظّواهر اللّغويّة.

فالفكرة الرّئيسة في النّحو التّوليدي التّحويلي هي: "تحديد مجموع الإمكانات التّعبيريّة الكامنة عند مستخدم اللّغة حتى يتمكّن من المختزن لديه أن يفهم جملاً جديدة لم يقرأها ولم يسمعها من قبل". (حجازي، 1997).[11]

ممّا يعني أنّ النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة تدرس حتى الطّريقة التي يتمكّن بها المتكلّم من إنتاج الجمل الجديدة التي لم تسمع وتقرأ من قبل. لذلك فإنّ تحليل الجملة في نظريّة تشومسكي اللّغويّة: "ليس تحليلا للوظائف وإنّما هو تحليل للعناصر إذ هدف الوصف اللّغويّ عنده يجب أن يتجه إلى بناء النّظريّة التي تُمكِّن من إنتاج جمل لا متناهيّة في اللّغة الطّبيعيّة".(عبادة، 1988) [12].

فتحليل العناصر ووصف البنيّة ليس هما الهدف وإنّما وسيلة للوصول إلى صياغة نظريّة لغويّة تمكننا من معرفة القواعد الخفيّة التي تحكم بناء الجمل.

إذ إنّ القواعد التّوليديّة التّحويليّة تنهض على مجموعة من المكونات التي تتيح للبنى اللّغويّة تحليلا وصفيا يساعد على كشف المعطيات الدّلاليّة المختلفة، وتربط هذه المكوّنات بين العناصر الصّوتيّة ومعانيها في الدّلالة أي بين الشّكل ومضمونه: العنصر الفونولوجي عنصر التّركيب، عنصر الدّلالة (الجليل 2002)[13].

بمعنى عنصر إنتاج الأصوات ثم تركيبها في كلمة ثم جملة، ثم عنصر الدّلالة أي المعنى الذي يؤديه التّركيب، لذلك رأى تشومسكي أثناء حديثه عن النّحو التّحويلي أن وصف أي لغة يجب أن يشتمل ثلاثة مركّبات أساسيّة هي:

- المركّب الفونولوجي: الذي يعطي المورفيمات صورتها الصّوتيّ؛
- المركّب الإنتاجي: الذي ينشئ كل جمل اللّغة المقبوليّة –علم التّراكيب–؛
- المركّب الدّلالي: الذي يمنح الجمل معانيها. (حركات، 1998) [14].

وذلك يعني أنّ الحروف المكتوبة تأخذ صورتها الفعليّة المنطوقة أثناء تركيبها صوتيا وبتآلف الأصوات تكون لها وظيفة تؤديها في التّركيب الذي تمنحه الدّلالة معانيه الحقيقيّة.

فالنّظريّة اللّغويّة التي تعني وصفَ البنيات اللّغويّة وتفسيرها تقوم على تعدد الأنظمة التي تنضوي تحتها النّظريّة العامّة وهذا التّصور خالفت فيه النّظريّة التّوليديّة النّظريّة البنويّة.

فالسّؤال الذي يطرح إذن "ليس ما هي العناصر الموجودة في الجملة؟ بل كيف تكون هذه العناصر؟ بالتّالي فالمنهج الجديد قام بإثراء اللّغة بمصطلحات لسانيّة فمثلا. فرق بين الكلام والقدرة عليه. وعد أنّ القدرة على الكلام هي الأساس الذي يجب أن ترتكز عليه القواعد اللّغويّة كما يرى أنّ فهم القدرة اللّغويّة يفتح مجالا واسعا للبحث في اللّغة الإنسانيّة وتحليلها" (الأسود 1465هـ)[15].

أي أنّ النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة تقدّم نظرة واضحة عن بنيّة اللّغة وميزاتها الإنسانيّة واكتسابها وعلاقاتها بالفكر الإنساني، فالتّفريق بين الكلام والقدرة على إنتاجه يتيح تحليل الظّاهرة اللّغويّة الإنسانيّة.

ومن كل ما سلف نستشف أنّ تشومسكي في كتابة 'البنى التّركيبيّة عالج القضايا التي تظهر تميز اللّسانيّات التّوليديّة والتّحويليّة عن اللّسانيّات البنيويّة ومن ثَم ينتقد مختلف أساليب التّحليل المعتمدة ثم يعرض الشّروط التي تحدد إجراء التّحويلات.

وهذا يعني أنّ القضايا التي عرضها تشومسكي في نظريته تنقسم على ثلاثة أقسام:

–قسم عرض فيه اختلاف اللّسانيّات التّوليديّة عن اللّسانيّات البنيويّة؛

–قسم نقد فيه طرائق التّحليل المعتمدة في دراسة الظّاهرة اللّغويّة؛

–قسم عرض فيه طرائق التّحليل من خلال تحديد شروط ذلك وتوسع في هذا القسم بعرضه للقواعد الكليّة التي تحكم اللغات البشريّة. (زكريا، 1982) [16].

والملاحظ في النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة تأثر تشومسكي بالمنهج العلمي فقد رأى أنّه: "يجب الكشف عن نظريّة عامّة في البنيّة النّحويّة، وأدخل استعمال الرّموز إلى التّحليل ليضمن له ذلك أقصى درجة من الدّقة في الوصف العلمي"(إفتيش، 2000)[17].

حيث إنّه يرى فيه وجوب وضع قاعدة عامّة تضبط البنيّة النّحويّة للكلمات ولتحليل هذه البنيّة بدقة وضع رموزا رياضيّة لتراكيب لغويّة توضح بدقّة طريقة هذه الجمل.

كما أنّه رأى: "أنّ اللّسانيّات الكليّة تحكمها قواعد عامّة موجودة في الذّهن البشري الذي تشترك فيه الأجيال، هذه القواعد يشترك فيها جميع متكلّمي اللّغة" (Jaszczolt, 2002)[18].

وهذا يعني أنّ قواعد أي لغة موجودة في أذهان متكلّميها، ومن منطلق أنّ اللّغة هي تعبير عن أغراض ومتطلّبات البشر تكاد تكون واحدة، فإنّ ذلك يعني أنّ القوانين التي يلجأ إليها المتكلّمون تكون فيها قواسم مشتركة بالضّرورة. وهذه القواعد المشتركة تسمّى القواعد الكليّة.

زيادة على ذلك فقد وضع تشومسكي مجموعة من المصطلحات لنظريته أهمّها مصطلح التّوليد، يعدّ التّوليد أهم عنصر في النّظريّة التّوليديّة وبه تسمّى النّظريّة أمّا التّحويل فما هو إلاّ صورة من صور التّوليد.

▪**مفهوم التّوليد:** أدخل تشومسكي مصطلح **القواعد التّوليديّة** للعلوم اللّغويّة منتصف الخمسينيات، ويدل على معنيين مختلفين:

▪المعنى الأوّل: وهو الأضيق والأكثر تخصّصا من النّاحيّة العلميّة، ويدل على مجموعة من القواعد والأحكام التي تعرف أنواعا مختلفة من النّظم اللّغويّة.

▪المعنى الثّاني: وهو الأعم–ويشمل ما نسميّة "التّوليديّة" التي تعني مجمل الافتراضات النّظريّة والمنهجيّة المنوطة بالبنيّة اللّغويّة. (لاينز، 2009)[19].

يدل مصطلح التّوليد على "الجانب الإبداعي للسان والملكة التي يمتلكها متكلّم اللّغة الذي له القدرة على تشغيل نظام لغوي (تركيبي، فونولوجي، دلالي) وذلك بتحقيقه في جمل تمثل أداءه" (بيرو،2001)[20].

بمعنى أنّ الإنسان يسمع جملا محدودة لها قوالب تضبطها، ومن هذه القوالب يمكنه إبداع جمل لم يسمعها من قبل، ومن هنا يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللّغة.

مثال جملة: أريدُ أنْ أفهمَ هذه النّظريّة.

يولّد منها جملة: أحبُّ أنْ أتعلمَ هذه القواعدَ.

فالقواعد التّوليديّة قواعد رياضيّة محدّدة متقنة وظيفتها تعيين وصف نحوي لبنيّة الجمل التي تولدها واصطلاح (Générative) توليد مصطلح رياضي ويجب فهمه بهذا المعنى عند استعماله في الدّراسات اللّغويّة.

من أجل ذلك تعدّ القواعد التّوليديّة على أنّها مجموعة من الأحكام أُتِي بها بهدف تطبيقها على عدد محدود من الوحدات تولد مجموعة محدودة أو غير محدودة من المتواليات (syntagms) التي يتألّف كلّ واحد منها من عدد محدود من الوحدات، ويشترط أن تكون هذه المتواليات صحيحة سليمة التّركيب. ومن مهام القواعد التّوليديّة الأساسيّة أنّها تعين لكل متواليّة وصفا بنيويا مناسبا. (بيرو 2001)[21].

فالتّوليد يعني إذن القواعد التي تمكننا من توليد عدد من الجمل بناء على اختيارنا للكلمة الأولى التي تصلح للبدء بها ويهتم التّوليد بتحديد الطّاقات التّعبيريّة الكامنة في اللّغة الموجودة عند المتكلّمين بها والتي تجعلهم يدركون معاني الجمل والتّراكيب التي لم يسمعونها من قبل. كما يمكنهم من إنتاج عدد لا حصر له من الجمل (حسام الدّين، 2001) [22].

وبأبسط مفهوم؛ التّوليد إخراج تراكيب جديدة من تراكيب متداولة يستعملها متكلّم اللّغة. ويشترط في التّركيب المستخرج منه أن يكون سليما، فنحن هنا كأنّنا نقوم بعمليّة القياس، إذ أنّنا نملك قالبا جاهزا نصوغ على منواله وشاكلته وعليه فاحتمال توليد تراكيب غير سليمة من تراكيب سليمة غير وارد.

1- أعلام اللّسانيّات التّوليديّة المغاربة: يزخر المغرب العربي بلسانيّين اهتموا وألّفوا في اللّسانيّات التّوليديّة أغلبهم من المغرب الأقصى، لعلّ أهمّهم:

- مصطفى غلفان، حافظ اسماعيلي، علوي محمد الملاخ: ألّفوا كتابا مشتركا عنوانه (للّسانيات التّوليديّة من النّموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي. مفاهيم وأمثلة)؛
- عبد القادر الفاسي الفهري: الذي ألّف كتابا عنوانه (اللّسانيّات واللّغة العربيّة). والملاحظ هنا أنّ المغاربة (المغرب الأقصى) اهتموا اهتماما بالغا بالتّوليديّة وقطعوا فيها أشواطا كبيرةً جعلتها تقارب التّوليديّة الغربيّة بل وتتجاوزها في بعض الأحايين.

2-جهود عبد القادر الفاسي الفهري في اللّسانيّات التّوليديّة: يؤكد كثير من الباحثين في اللّسانيّات التّوليديّة أن النّموذج الذي يقدمه الفهري في هذا المجال يعد الأكثر تميزا، وذلك للأسباب الآتيّة:

-طرح قضايا تحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللّغة العربيّة، وذلك بالانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللّسانيّ الغربي والتّوليدي بشكل خاص؛

-الانطلاق من وعي ابستمولوجي يحرك البحث ويدفعه إلى تقديم الدّرس اللّسانيّ عربيّه وغربيه ويتمثّل في ضرورة الفصل بين صنفين من اللّسانيّات؛ لسانيات ظواهر(تبرز خصائص أنحاء اللغات الطّبيعيّة) ولسانيات محاور(تؤرخ لمنجزات الدّرس النّحوي القديم بتوظيف آليات نظريّة وتحليليّة ناضجة ابستمولوجيا) حتى إذا طرحت قضايا معينة لا تصاغ وفق مفاهيم واستدلالات القدماء وإنّما تطرح بجهاز استدلالي يستوفي شروط المعايير العلميّة الكامنة في التّنظير اللّسانيّ الحديث؛

-وضعُ الفهري لبرنامج عمل يتجاوز الكلام الإيديولوجي للتدقيق في قضايا تتوزع على قطاعات معرفيّة تبادليّة (اللّسانيّات العامة، اللّسانيّات الاجتماعيّة اللّسانيّات النّفسيّة، اللّسانيّات التّطبيقيّة...).

ويتمثّل هذا البرنامج في:

-بناء نماذج آليّة حاسوبيّة لإدراك اللّغة واستعمالها تسترشد بالنّماذج النّفسيّة في إطار إدراك آليات اكتساب اللّغة وتعلمها؛

-التّأريخ للنحو العربي القديم بتوظيف منهجيّة المحاور التي وظفها هولتون؛

-استثمار نتائج اللّسانيّات النّظريّة في قضايا تدريس اللّغة العربيّة.(حافظ 2009) [23].

ويمكن أن نَبْسِطَ أهم القضايا التي أبرزت خصوصيّة جهد الفهري في الآتي:

1.3.**الرّتبة في اللّغة العربيّة:** اهتم التّوليديّون بقضيّة الرّتبة وعدّوها المدخل لمعالجة مجموعة من القضايا أهمّها:

-إشكال الاعراب واتجاه الاسناد في اللّغة العربيّة؛

-إشكال الضّمائر والمتصلات بما فيها ظاهرة التّطابق، وما تخضع له من تنوع ملحوظ في سماتها تبعا لترتيب المكونات داخل الجملة؛

-إشكال النّقل، فالتّركيز على الرّتبة الأصليّة وآليات اشتقاقها يمكننا من فهم آليات اشتقاق الرّتب الممكنة. (حافظ، 2009)[24].

وقد أورد **الفهري** في كتابه "اللّسانيّات واللّغة العربيّة" ما يلي: "اعتبر كرينبرك (Greenberg) أنّ اللّغة العربيّة من نمط: ف. فا. مف واعتبرت هذا أصل الرّتبة كذلك في إطار التّحليل التّوليدي الذي قدمته لهذه اللّغة. إلاّ أنّ شومسكي يكاد ينكر وجود لغات من هذا النّمط" (الفهري 1993)[25].

ويعلّق الفاسي الفهري على موقف شومسكي من مسألة الرّتبة هذه في اللّغة العربيّة قائلاً: "يعتقد شومسكي أنّ القاعدة المقوليّة التي يقترحها صالحة لجميع اللغات إذا وضعنا جانبا مسألة التّرتيب داخلها:

ج ⟵ م س صرفة م ف، وبذلك تكون اللغات من نمط فعل فاعل مفعول غير موجودة نظراً إلى أنّ الفعل والمفعول يجب أن ينتظما –من منظور شومسكي –في مركب واحد هو المركب الفعلي، إلاّ أنّ شومسكي لا يستدل على هذا الموقف وقد حاولت في أبحاثي أن أثبت أنّ اللّغات من هذا النّمط موجودة وأنّ العربيّة لا يوجد فيها مركب فعلي"(الفهري، 1993)[26].

إنّ التّحليل التّوليدي الذي اقترحه الفاسي الفهري لتراكيب الجملة العربيّة يؤكّد على ضرورة اختصار قواعد التّركيب العربي في قواعد قليلة سماتها الأساسيّة الشّموليّة والتّعميم والوضوح والدّقة في الصّياغة.

وتمّت البرهنة النّظريّة على أهميّة الرّبط بين قضايا نحويّة وردت متفرّقة في النّحو العربي القديم كالجمع بين الاشتغال والابتداء والتّقديم والتّأخير والرّبط بين الجملة الفعليّة والجملة الاسميّة والتّوحيد بين البنى التي اعتبرت اسميّة في النّحو العربي كالجمل الموصولة والاستفهاميّة.

إنّ في هذا الافتراض العام الذي يوحد بين الجمل التي اعتبرت اسميّة وتلك التي اعتبرت فعليّة، ممّا ينفي عن اللّغة العربيّة أو اللغات التي توجد فيها جمل بدون فعل في السّطح كاللّغة الرّوسيّة أن تكون لغات معقّدة أو غير طبيعيّة. (الفهري، 1993)[27].

وعملت هذه التّحليلات اللّسانيّة الجديدة للغة العربيّة على تصحيح كثير من الأحكام المسبقة عن اللّغة العربيّة والمتعلقة بكونها لغة معقّدة أو لغة غير طبيعيّة.

ويبين الفحص الدّقيق لأعمال الفاسي التّوليديّة وأعمال المتوكل الوظيفيّة زيف الادعاءات القائلة بأن تطبيق اللّسانيّات على اللّغة العربيّة يفرض عليها قواعد خارجة عن طبيعتها. يقول **الفهري**: "إنّ نظريّة القواعد المقوليّة التي نحتاج إليها لا بد وأن تضع مثل هذه القواعد من بين القواعد غير الطّبيعيّة (Unaturel) وغير المرغوب فيها، ونحن نرفض مثل هذه القاعدة في إطار

إستراتيجيّة البحث التي نتبناها والتي تجعل من اللّغة العربيّة لغة طبيعيّة من بين مثيلاتها من اللغات الطّبيعيّة الأخرى"(الفهري، 1993)[28].

2.3. التّوسيط وازدواجيّة الرّتبة: لاحظ **الفهري** في كتابه **البناء الموازي نظريّة في بناء الكلمة وبناء الجملة** أنّ دراسة ظواهر التّطابق والدّور الذي تلعبه علاماته تظل فقيرة، وليست هناك نظريّة شاملة ومقنعة للتطابق (الفهري 1990)[29] ممّا جعله يركز على فكرة التّطابق بين المركب الاسمي والحمل.

–وسيط الإحاليّة: يقصد بها العلاقة بين الكلمة والضّمير الذي يحيل إليها وقد رأى الفهري أنّ كل أشكال اللواصق يمكن أن تكون ملتبسة ويرمز لكل منها بـ **تط** (التّطابق)؛

–وسيط الاسميّة: يرى الفهري أنّ التّمييز بين اللغات من ناحيّة الإحاليّة غير كافٍ فالكلمات التي تكتمل اسميتها تتطلب إعرابا بينما العلامات غير الاسميّة لا تتطلّب إعرابا. [إذا كان تط اسميا، فإنّ تط لا يتلقى إعرابا].

3.3. التّنميط المتعدد: أصبح التّنميط في اللّسانيّات المعاصرة يرتكز على التّوسيط الذي يهدف إلى رصد الكليات الجوهريّة المميزة للغات الطّبيعيّة وطورت التّوليديّة البحث في مضمون الفرق بين الملكة البشريّة عامّة والملكة الخاصّة بلغة محددة.

(فكرة النّحو الكلي)، ويناقش الفهري هذه الفكرة ضمن التّساؤلات الآتيّة:

–هل هناك تلاؤم بين قيم الوسائط في كل اللغات الطّبيعيّة؟

–هل ينبغي أن يحصر التّوسيط في مكون معين من مكونات اللّغة؟

–هل يمكن أن تكون قيم التّوسيط متعددة في اللّغة نفسها؟

4.3. البناء لغير الفاعل (البناء للمجهول): قدم الفهري معالجة لفكرة البناء للمجهول انطلاقا من نظريّة الرّبط العاملي في مرحلتين أساستين:

–**الأولى:** نقد تصورات النّحاة القدامى بدايّة بتسميته (بناء للمجهول) التي رآها غير موفقة واقترح (البناء لغير الفاعل، كما راجع مراجعة نقديّة الخصائص

الصّرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة لغير الفاعل، كما نقد تصور التّوليدين في تمييزه بين الأفعال المبنيّة للمعلوم والأفعال المبنيّة للمجهول، إذ لاحظ أنّ الأفعال المتعديّة التي تبنى على (فُعل) تختلف على مقابلاتها المبنيّة للمعلوم في شيئين:

-ينزع الفاعل (بدخول الحرف عليه أو بتركه) (**subject demotion**)؛

-يرقى المفعول إلى درجة فاعل (**object promotion**)؛

-**الثّانيّة:** اجتهد في بناء نظريّة جديدة للبناء لغير الفاعل.

4-ملاحظات تتعلّق بالكتابات اللّسانيّة التّوليديّة المغربيّة: إنّ المتتبّع لمسار الدّرس التّوليدي في الثّقافة العربيّة يلاحظ أنّ الكتابة التّوليديّة المغربيّة استطاعت تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنى العربيّة صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة ومعجما.

وجاءت بعض هذه الكتابات مضاهيّة شكلا ومضمونا لنظيرتها الغربيّة أمريكيّة وأوربيّة من عدة أوجه، في مقدّمتها تقيدها المطلق بشروط وقواعد البحث العلمي اللّسانيّ وخطابه"(غلفان، 1991)[30].

فقد عرفت النّماذج التّوليديّة تطورات متلاحقة، فرضت على كل باحث في إطار البحث اللّسانيّ التّوليدي مواكبة المستجدات والمتغيرات الطّارئة فقد" أصبحت دراسة اللّغة العربيّة محكومة بجملة من الأصول والمفاهيم النّظريّة والمنهجيّة المضبوطة، فبدون معرفة الإطار الذي تندرج فيه هذه الكتابة أو تلك، لا يمكن بأي حال من الأحوال إدراك طبيعة تحليل المقدّمة ونتائجها النّظريّة. فلم يعد ينظر للغة العربيّة نظرة حرة اعتباطيّة قائمة على التّأمل والانطباع، وإنّما تتقيد المقاربة بالإطار النّظري للنموذج الذي تشتغل فيه وتحاول تطبيقه على اللّغة العربيّة مستعملة مجموعة من وسائل الاستدلال والبرهنة على ما تقوم به "(غلفان، 1991)[31].

لقد كان ذلك دافعا جعل الكتابة التّوليديّة العربيّة تحقّق مجموعة من الأهداف منها:

–تمكّنها من صياغة قواعد للظواهر اللّغويّة المدروسة تتسم بالبساطة والوضوح والأناقة، على غرار ما هو معروف في النّحو التّوليدي الغربي؛

– تقديم قواعد عامّة تفسّر المعطيات تفسيرا شموليًّا[32](غلفان، 1991) وهذا ما نجده في كتابات الفهري وداود عبده مثلا.

إنّ مواكبة الكتابة اللّسانيّة التّوليديّة العربيّة لمستجدات النّظريّة التّوليديّة جعلها تخضع لتعدد النّماذج اللّسانيّة؛ وهو تعدّد له إيجابياته. منها:

– إثراء البحث اللّسانيّ العربي؛

– تقريب الدّرس اللّسانيّ العربي من واقع البحث اللّسانيّ العالمي؛

– تعميق المعرفة العلميّة باللّغة العربيّة؛

– إثارة إشكالات جديدة واقتراح الحلول المنهجيّة الممكنة؛

– التّحليل العميق والشّامل للغة العربيّة (غلفان، 1991)[33].

بيْد أنّ هذه الإيجابيات لا تخفي الصّعوبات التي مازالت تحد من فعاليّة الكتابة لتوليديّة العربيّة، نجملها في:

– عدم تقديم بحث توليدي متكامل للغة العربيّة؛

– تناولها التّجزيئي لقضايا اللّغة العربيّة والخلط بين النّماذج اللّسانيّة؛

– عدم التّدقيق في فرضياتها ومدى ملاءمتها للغة العربيّة (غلفان 1991)[34].

وقد تمخض عن هذا الوضع "أنّ التّعامل مع النّماذج التّوليديّة اتسم برؤيّة مرحليّة لا تبحث عن المعالجة الشّموليّة لظواهر اللّغة العربيّة، وإنّما عن تقديم أشتات و"منوّعات" من التّحليل التّوليدي الذي ينحصر في الاشتغال بمواد لغويّة منتقاة من اللّغة العربيّة أو مترجمة أغلبها من لغات أجنبيّة تلائم النّموذج المقترح. وتكون الحصيلة وجود فراغات وقفزات في نحو اللّغة العربيّة التّوليدي الذي تظل أجزاؤه تبحث باستمرار عمن يتمّمها ويملأ هذه الفراغات"(غلفان 1991)[35].

ولعلّ هذا هو جوهر إشكال الكتابة التّوليديّة العربيّة إذ إنّها جهود مشتتة تفتقر إلى المعالجة العميقة والتّحليل الرّصين، زيادة على أنّها تختار نماذج بعينها من اللّغة العربيّة وتطبقها عليها ممّا يخلق فجوات في النّحو التّوليدي العربي.

أمّا فيما يخص الموضوعات والقضايا التي يقترحها التّوليديون، فيلاحظ أنّهم يكتفون بتقديم اللبنات الأولى، لكنّهم سرعان ما يتحولون إلى موضوعات جديدة مطبقين ما ظهر من افتراضات جديدة في البحث اللّسانيّ التّوليدي دون أن يعودوا – إلاّ نادرا–لتعميق البحث والتّحليل فيما تم وضعه من لبنات أولى

والدّفع بها نحو صياغة، لا نقول نهائيّة، ولكن شاملة وعامّة تأخذ بعين الاعتبار الظّواهر المدروسة في تكاملها (غلفان، 1991)[36].

فالموضوعات التي اشتغل عليها التّوليديون موضوعات غير كاملة فهم يعطون اللبنات الأولى للقضايا ثم يقفزون إلى غيرها من موضوعات مستجدة في البحث اللّسانيّ الغربي، ممّا يجعل الصّورة عندهم أو عند القارئ غير مكتملة، لأنّها لم تعطِ صورة متكاملة عن النّظريّة.

خاتمة: قدّم الفهري جملةً من القضايا المهمة في الدّرسين العربي والعالمي بخاصّة ما تعلق بإشكالات الرّتبة والإسناد والتّطابق والبناء للمجهول التي أرهقت الباحث العربي درساً وتحليلاً وتعليقا وتأويلا قديما وحديثا، كما قدم حلولا لإشكالات التّنميط المتعدّد التي تعدّ جوهر التّوليديّة الدّاعيّة إلى صياغة نحو عالمي.

إنّ ما قدّمه الفهري من جهود توليديّة خدمت اللّغة العربيّة وخدمت اللّسانيّات العالميّة يجعلنا نقرّ بأنّ الوقت قد حان –في البحث اللّسانيّ العربيّ–لتجاوز مرحلة التّمهيد والتّبسيط والتّرجمة الحرفيّة للأفكار اللّسانيّة الغربيّة وتطبيق ذلك طوعا أو كرها على اللّغة العربيّة، فقد بات لزاما علينا الانتقال بجدّ وثقة إلى الإسهامات الفعالة في البحث اللّسانيّ العالمي تنظيرا وتطبيقا. ولا يعوزنا في ذلك علم أو علماء قادرون على الإسهام بفاعليّة في بناء الصّرح اللّسانيّ العالمي.

قائمة المراجع:

[1] جان بيرو، اللّسانيّات، ترجمة: الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر 2001 ص102.

[2] كارل ديتربونتج، مدخل إلى علم اللّغة، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسّسة المختار للنشر والتّوزيع مصر، ط1(1424هـ-2003م)، ص203.

[3] محمد الصّغير بناني، المدارس اللّسانيّة في التّراث العربي وفي الدّراسات الحديثة، دار الحكمة الجزائر، (د، ط) السّداسي الأوّل،2001، ص76.

[4] مازن الوعر، نحو نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة لتحليل التّراكيب الأساسيّة في اللّغة العربيّة طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر، ط 1(1987م)، ص52.

[5] أحمد مومن، اللّسانيّات النّشأة والتّطور، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، (د، ط) 2002 ص 203.

[6] مليكا إفتيش، اتجاهات البحث اللّسانيّ، ترجمة: سعيد مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، الجزائر، ط2(2000م)، ص.381.

[7] نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار عنابة 2006م، ص147.

[8] المرجع نفسه، ص147.

[9] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربيّة، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة 2003، ص19.

[10] آن إينو، مراهنات دراسة الدّلالات اللّغويّة، تر: أوديت بتيت وخليل أحمد، دار السّؤال للطباعة والنّشر دمشق، ط1(1401هـ - 1980م)، ص75.

[11] ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء للنشر، والتّوزيع، القاهرة طبعة مزيدة ومنقحة (د، ت)، ص123.

[12] محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربيّة دراسة لغويّة نحويّة، منشأة المعارف، الإسكندريّة، (د ط) 1988 م، ص.199.

[13] ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيّات الحديثة، دار صفاء للنشر والتّوزيع، عمان ط1(2002م)، ص 274.

[14] مصطفى حركات، اللّسانيّات العامة وقضايا العربيّة، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1 (1418هـ1998م)، ص102.

[15] محمد خليفة الأسود، التّمهيد في علم اللّغة، منشورات السّابع أبريل، ليبيا، ط2 (1465هـ)، ص36.

[16] ينظر: ميشال زكريا، الالسّنيّة التّوليديّة التّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة (النّظريّة الالسّنيّة) المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط1 (1982م)، ص14.

[17] مليكا إفيتش، اتجاهات البحث اللّسانيّ، ص381.

[18]M Jaszczolt ,Semantic and Bragmatics Meaning in Language and Discours,Longman Person éducation,1pub,2002, p47.

[19] ينظر: جون لاينز، اللّغة واللّغويّات، ترجمة: محمد العناني، دار جرير للنشر والتّوزيع عمان، الأردن
ط1(1430هـ-2009م)، ص135.

[20] جان بيرو، اللّسانيّات، ترجمة الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، ص 107.

[21] ينظر: جون لاينز، اللّغة واللّغويّات، ص136.

[22] ينظر: كريم زكي حسام الدّين، أصول تراثيّة في اللّسانيّات الحديثة، الرّشاد للطباعة والتّغليف ط3(1421هـ-2001م)، ص227 -228.

[23] حافظ اسماعيلي علوي، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة" دراسة تحليلة نقديّة في قضايا التّلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1(مارس2009) ص282.

[24] المرجع نفسه، ص283.

[25] الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، ج1، ص 105.

[26] الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، ج1، ص13.

[27] المرجع نفسه، ص13.

[28]المرجع نفسه، ص13.

[29] عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي نظريّة في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال للنشر الدّار البيضاء، المغرب، ط1 (1990)، ص56.

[30]مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة الحديثة دراسة نقديّة في المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة، ص223.

[31] المرجع نفسه، ص223.

[32] المرجع نفسه، ص223.

[33] المرجع نفسه، ص231.

[34] المرجع نفسه، ص231.

[35] المرجع نفسه، ص235.

[36] المرجع نفسه، ص13